

هند ومهند الدكتور عبد العظيم على نزه - الهند

حينما تبذل في هذه الأيام جهود طيبة لدعم الروابط بين الهند والعرب وتمتد التدوات والمجالس العلمية في الأماكن العديدة يردد الناس كلاما معناه أن العرب كانوا يسمون، منذ زمن بعيد، بناتهم «هنداء» بسبب جهنم بلادنا الهند. وهذا خيال شعري مبعثه عاطفة الحب الوطني، ولذلك لا يطيب لي أن أقول شيئا ضد هذا الخيال، ولكن عمل البحث والتحقيق الذي يجانب دائما الخيال الشعري يقتضى أن يبحث عما إذا كان لهذا الخيال من أصل. وإني لا أعلم من أبدى هذا الرأي أولا ومتى؟ ولكن نرى في العصر الحاضر أن المنفور له السيد سليمان الندوى قد أورد هذا الكلام في مؤلفه القيم «العلاقات بين الهند والعرب» كحقيقة ثابتة فيقول «ما يبعث على العجب والحيرة أن كلمة «هند» قد أعجبت العرب بحيث سموا نسايتهم باسم هذا البلد، فيسأري هذا الاسم في الشعر العربي اسم «الليلى» و«شيرين» في الشعر الفارسي». والمظنون أن الذين يرددون اليوم هذا الكلام يمولون على عبارة السيد سليمان المذكورة. وأول سؤال يواجهنا في هذا المقام هو أنه متى عرف العرب بلدنا باسم «الهند» أول مرة؟ لا شك في أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين جنوب الهند وبين الجنوب العربي قبل الإسلام بكثير، ولكنه من المعلوم أن انظر الجنوبي من البلد لم يسم قط باسم «الهند» ولا عرف التجار العرب في ذلك العصر هذا الاسم. والغالب أن سكان المنطقة الشمالية والوسطى بالجزيرة العربية كانت معرفتهم ضئيلة جدا بالبلاد اأخارجية، سوى المناطق التي كانت حدودها متأخذة بلادهم مثل العراق والشام حيث سيطرت الدول الفارسية والبيزنطية. وكذلك من الظاهر أن كلمة «هند» بمعنى البلد قد وصلت إلى العرب بواسطة فارس، ومن الملم به لدى معظم الناس أن كلمة «هند» صودة

مقلوبة لكلمة «سندوه» وكان نهر السند وواديه وسكان هذه المنطقة يسمون في العصر القديم باسم «سندوه» ولما تمت عليها سيطرة الفرس لمدة قليلة جعلوا يطلقون عليها اسم «هندوه» وكانوا أحيانا يزيدون في آخرها حرف «ش» فكانت تنطق «هندوش». وفي اللغة الايرانية القديمة كانت تستعمل حرف «ك» للنسبة، وبذلك أطلقت على سكان هندش كلمة «هندك» وفي هذه الصورة وصلت الكلمة إلى العرب، فرى في المعاجم القديمة كلمة «هندكي» وجمعها «هندكة»، ولكن المتوفى سنة ١٢٤ هـ يت جاء فيه:

ومقربة دم وكت كأنها طماضم يوفون الوفور هندكا

ولما وصل اليونان مع الإسكندر إلى نهر السند نقلوا أيضا اسم هذه المنطقة من الفرس، ولكن الهاء انقلبت عندم همزة وتكونت كلمات «إندس» و«إند» وقد حولها الأوربيون إلى «إندس» و«إنديا» و«إنديين». أما في اللغة الفرنسية قد بقيت الكلمة «إند».

وإني لم اطلع على كلمة «هند» بمعنى البلد في الشعر العربي القديم، وأرى أن هذه الكلمة بمعنى البلد قد جاءت في الحيرة نفسها من إيران، ويبدو أن آثار الحضارة والمدنية الفارسيين كانت سائدة على بلاط الحيرة، ومن هنا نسبت إلى الهند بعض الأشياء التي ترتبط بها خاصة، كما في هذا البيت لعدي^١ ابن زيد المتوفى سنة ٣٥ ق. هـ:

رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا

والمراد بالهندي، كما في لسان العرب. «الود الطيب الذي من بلاد الهند». وبما أن سيطرة الفرس كانت قد تمت على بعض المناطق في الجنوب العربي يمكن أن كلمة «هند» بمعنى البلد قد عرفت هناك أيضا، ولكن ليس

(١) ابن قتيبة: تهذيب الألفاظ: ٦٥٦. الأغانى (٢: ١٤٧). شمر وشمر: (١: ١٨٤) وقد نسبت هذا البيت لسان العرب (٢: ٢٣٨) لعدي بن الرقاع المتوفى نحو ٩٥ هـ.

لدينا دليل قاطع بذلك . وعلى كل قلنا يمكن أن انتشرت هذه الكلمة ، منى
البلد قبل القرن الخامس الميلادي في جزيرة العرب الشمالية والوسطى التي نسمي
لها بالعربية . ولإثبات الرأي القائل بأن العرب سموا ناسهم باسم البلد
يلزمنا أن ثبت أن هذه الكلمة قد جرت بمعنى البلد على ألسنة جميع الناس مدة طويلة .
وكما استعملت كلمة هنده علما فكذلك وردت في اللغة العربية للعراق
الأخرى أيضا منذ زمن قديم ، وقد ذكر في لسان العرب لهذه الكلمة المعاني الآتية :
هند وهندية : اسم لثلاثة من الأيبل خاصة . وقال أبو عبيدة وغيره :
هي اسم لكل مائة من الأيبل . ابن سيده : وقيل : هي اسم لثلاثة ولما دونها
ولما فوبقها ، وقيل : هي المائتان . قال : والهنية مائة سنة ، واحد مائتان .
فكان معنى الهيد والهنية هو المائة من الأيبل أو أقل من ذلك أو
أكثر ، وكذلك مائة سنة أو المائتان . والتعريف أن كلمة هنده لم ترد علما
للرأة لحب بل كان الرجال أيضا يسمون بهذا الاسم فقد جاء في لسان
العرب : هند اسم رجله واشتهر باليت الآتي :

إني لمن أنكرفي ابن اليزني قلت غلباء وهند اجلي
أراد : وهنداً اجلي .

وهكذا يظهر أن تسمية العرب نهمزة أو الريحى بأهند لا علاقة لها
ببلد الهند . وهناك أمر يمت على تكبير وهو أن العرب حينما يستعملون
هذه الكلمة علما كلالإنسان لا يعرفونها بلام التعريف . أما من يقولون هنده
بلام التعريف . وهذا أيضا يثبت أن كلمة هنده قد وجدت عدم من ذي قبل .
وحينا استعملوها علما لبلد أدخلوا عليها لام تعريف وخصصوها . ويمكن أن
العرب قد أحبوا بلدا كثيرا ولكنه من الخلق أنهم لم يسموا ناسهم باسمه .
أما الكلمة الثانية التي تعرضت للبحث والمناقشة هي هنده فق الصحاح

للجوهرى، وهو أقدم معجم مرتب لدينا، جاء في معنى هذه الكلمة «المهند»: السيف المطبوع من حديد الهند. وقد تكررت هذه الكلمات في المعاجم الأخرى، فبارة لان العرب كالأق:

ومند اليف: شحذه، والتهنيد: شحذ اليف، قال:

كل حام يحكم التهنيد

يقضب ضد الهز والتجريد

سالفه الهامة واللديد

قال الأزهري: والأصل في التهنيد عمل الهند، يقال سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل يبلاد الهند وأحكم عمله. والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند.

وفي قصيدة كعب بن زهير الشهيرة يانت سعاديت جاء فيه:

إن الرسول لسيف يتضاء به . . . مهند من سيوف الله ملول

وفي رواية هذا البيت خلافاً عديدة، ففي رواية جاء في الشطر الأول «لتوره» مكان «لسيف» وروى الشطر الثاني هكذا أيضاً:

وصارم من سيوف الهند ملول

وكذلك جاء في رواية أن كعباً كان قد نظم الشطر الثاني هكذا:

مهند من سيوف الهند ملول

وحينما أنشده رسول الله ﷺ أصلحه وجعل «سيوف الله» بدل

«سيوف الهند» وعلى كل وردت كلمة «مهند» في البيت في معظم الروايات.

وقد قيل شعر كثير في مدح السيف الهندي في أواخر عهد الجاهلية

وصدر الإسلام ويذكر منه أياتاً فيما يأتي:

المهليل المتوفى نحر ١٠٠ ق ٥:

هزموا العداة بكل أسمر مارن ومهند مثل الغدير يمانى

الأخمس بن شهاب المتوفى نحو ٧٠ ق هـ :
 لكيز لها البحران واليف دونه
 وإن يأتهم ناس من الهند هارب
 اتقد الزماني المتوفى نحو ٧٠ ق هـ :
 دون أن أبصرت خيولا لبكر
 ويوفا هندية ورماحا
 طرقة (نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ) :
 فأليت لا ينفك كسحي بطانة
 وظلم ذوى القربى أشد مفاضة
 لعضب رقيق الثغرين ههند
 على المرء من وقع الحمام المهند
 العارث بن عباد المتوفى نحو ٥٠ ق هـ :
 فإن سلنا فأنا سائرون لكم
 بكل هندية في حداها شطب
 الملس المتوفى نحو ٥٠ ق هـ :
 كطريفة بن العبد كان هديهم
 ضروا قذاعة رأسه بههند
 حاتم المتوفى ٤٦ ق هـ :
 سأذخر من مالى دلاصا وسابجا
 وأحمر خطيا وعضا هندا
 عدى بن زيد المتوفى نحو ٣٥ ق هـ :
 والشرف الهندى نسق به
 عداوة ذى القربى أشد مفاضة
 أخضر مطوثا بماه الخريص
 على المرء من وقع الحمام المهند

(٢٠١) تدارا النصرانية : ١٨٥ ، ٢٤٣

(٢) شرح لقصائد الشعر : ٤٨ ، ص ٤٤ : ٧٨ ، ٨٣

(٤) تدارا النصرانية : ٣٧٧

(٥) ديوانه : ٢٨ (إبيك ١٩٠٣م)

(٦) ديوانه : ٨

(٧) ابن قتيبة : مشعر وأحمر . تخفيف أحد تحت : ١٤٩ : ١٨٢ . حانة تيجنى : ٢٤٨

في قبة كيوف الهند قد علوا
 أمابه هندوانى فأنصده
 المزرد المتوفى ١٠هـ :
 وألمس هندي متى يعل حده
 الخنساء المتوفاة ٢٤هـ :
 أنت المهند من سليم في العلى
 ليد المتوفى ٤١هـ :
 كفية الهندى طابق درهما
 ومدججين ترى المغاول وسطهم
 جرول بن أوس المتوفى نحو ٤٥هـ :
 كسوب وتلاف إذا ما سأك
 حنان بن ثابت المتوفى ٥٤هـ :
 في قبة كيوف الهند أوجههم
 فأسى سراجا متنبرا وعادبا
 ولا عدى بن كعب إن صيغتها
 عيد الراعى المتوفى ٩٠هـ :
 كعديدة الهندى أمسى جفنه
 خلفا ولم يك في المعظام نكولا

(١) التفضيلات : ١٧٥

(٢) شرح ديوان الخصال : ٦٥

(٣) ديوانه : ٦٥ - ١٤٦

(٤) ديوانه : ٨٦

(٥) ديوانه : ٦٦ - ٣٣

(٦) جبهة أشعار العرب : ٣٥٦

- ذو الرمة (٧٧-١١٧هـ)^١ :
 أخاشقة زولا كأن قيصه
 علي نصل هندي جراز المضارب
- الكيت (٦٠-١٢٦هـ)^٢ :
 هل لبني أمية جث حلوا
 وإن خفت الهند والقطيعا
- زينب بنت الطيرة المتوفاة نحو ١٣٥هـ :
 معنى وورثناه دزيس مفاضة
 وأيض هنديا طويلا حمائله
- الحسين بن مطير المتوفى ١٦٩هـ :
 خفيف الحشا ضربا كأن ثيابه
 علي قاطع من جواهر الهند صادم
- ريطة بنت عاصم^٣ :
 غدوا كسيوف الهند وفراد حومة
 من الموت أعبا ورد من المصادر
- تيم بن أسد الخزاعي :
 ووجدت ربح الموت من تقانهم
 وقال الجاحظ في البيان والبيان : وأنشدني بعض أصحابنا^٤ :
- ناديت هيدان والأجواب منققة
 كالهنديواتي لم تقلل مضاربه
 وشي هيدان من فتحة الباب
 وجه جميل وقلب غير وجاب
- مرار بن سعيد الفقمسي (إسلامي)^٥ :

(١) ديوانه : ٥٥

(٢) البيان وتبيين : ٣ : ٣٦٥

(٣) حاشية بجدي : ٢٧٥

(٤) تبيين وتبيين : ٢ : ١٧٠

(٥) أخاشقة (شبهة برون) : ٤٩٢

(٦) حاشية بجدي : ٥١

(٧) تبيين وتبيين : ١ : ٤١

(٨) ابن قتيبة : شعر وشعر : ١ : ٣٧٠

إذا شونا لم ننع فيها بمرقد قرى الضيف منها بالمهندذى الاثر
 ولا أستطيع أن أقطع ولكنه يبدو أن وضع كلمة «مهند» لليف الهندي
 قد تم قبل الإسلام بنحو قرن ونصف، وإنما بدون شك مشتقة من «هند»
 بمعنى البلد، ولكن الفعل الماضى «هند» ومصدره «التهند» قد وجدا فى اللغة
 العربية من ذى قبل كما يظهر من المعجم، والعبارة التالية: «لان العرب جديرة بالتفكير:
 «هند إذا تصر وهد وهد إذا صاح صباح البومة (ابن الأعرابي)
 هند الرجل إذا شتم إنسانا شتما قبيحا، وهد إذا شتم فاحمله وأمك، وحمل
 عليه فا هند أى ما كذب، وما مند عن شتى أى ما كذب ولا تأخر،
 وهندته المرأة: أورتته عشقا بالملاطفة والمغازلة». قال:

يعدن من هندن والتبا

وهندتى فلانة أى تيمتى بالمغازلة (أبو عمرو)

ابن دريد: هدت الرجل تهيدا إذا لابت ولاطفته.

ابن المستير: هدت فلانة بقلبه إذا ذهبت به.

(١) وقد كتب الدكتور عبد الستار تصديق فى رسالته التى قدمها لتبيل درجة الدكتوراه أن كلتى «هند»
 و«هند» بمعنى المغازلة لم تشتما من قبلين القدمين للمرأة العربية «هند» و«هندة» بل الواقع أن دلال المرأة
 الهندية كان قد أعجب شعرب فاستساوا كلتى «هند» و«هندة» بمعنى المغازلة المذكور، كما أن كلمة «هندة»
 تطلق على الحبيب الخليل فى اللغة الفارسية، وكان قد استشهد بالبيت الفارسي الآتى:

عشوه و ناز و كرشه همه با مردم هند سديا روز ازل حسن بتركان دادند

A. Siddiqi, Studien über die Persischen Fremdwörter im Arabisch
 Goethingen 1919 p. 91.

وقد رفضت هذه الفكرة الأستاذ نورى كده فى تعليق الذى كتبه على هذه الرسالة، تراجع Der Islam
 Vol. 11, p. 270 رحبنا ذكرت ذلك للدكتور تصديق قال: إنى قد تفكرت بعد نشر الرسالة
 بنقل فوصلت إل أن رأي كان خطأ وأنه لا علاقة لهذه الكلمات ببلد الهند.

وكان يقال في صوت البروم أنه يصبح «هندا هنداء» كما يبدو من هذا الشطر :

وبلدة يدعى صداها هنداء

. ومن الظاهر أن معنى الملاطفة والمغازلة قد أخذ من «هند» بمعنى اسم المرأة .

أما الشم واحتماله فلانعلم أى هند تختص بهما .

وفي ضوء هذه التصريحات يمكن أن أقول : إن كلمتي «هند ومهند» قد

وجدتا في اللغة العربية من ذي قبل ، وحينما أطلق العرب كلمة «الهند» على بلادنا

بوساطة الفرس ونسبوا إلى الهند أشياء كثيرة كانت تصل إليهم منها وخاصة

الحديد واللبق قالوا للورد «الهندي» ولللبق «الهندي» أيضا .



نداء الهند